

فحص الذات

" لنرجع ونفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب ، كيف هم " أع
15 : 36 .

بعد الرحلة التبشيرية الأولى لبولس وبرنابا ، اقترح بولس على برنابا ، أن يرجعا لزيارة الكنائس التي أسسها ويريا أحوالها . كان بولس في قلق ، يريد أن يعرف ما إذا كانوا في نمو كمؤمنين . لذلك قال : " لنرجع ونفتقد إخوتنا ... ونرى كيف هم " .
من هذا يمكن أن نتعلم أننا نحتاج أن نمتحن أنفسنا لنرى كيف أصبحنا في علاقتنا بالله .

إننا نعيش الآن في عصر الامتيازات الروحية العظيمة ، فالإنجيل قد كرز به في معظم أنحاء العالم ، وأصبح الكتاب المقدس متاحاً الآن بلغات أكثر من أي وقت مضى . وقد نمت الكنيسة بسرعة عظيمة في العديد من بلدان العالم . لكن علينا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال : هل نحن - الآن - أفضل بسبب ذلك؟

نحن نعيش الآن في عصر يكتنفه خطر روحي عظيم ، فالعديد من الناس - في جميع أنحاء العالم يعلنون أنهم مسيحيون ، لكن هل جميع هؤلاء المسيحيين قد نالوا التغيير والتجديد الحقيقي ؟ إن الكثيرين يحبون أن يحضروا اجتماعات كبيرة ، تحدث فيها أشياء مثيرة . لكن البحث عن الإثارة شيء مختلف تماماً عن النمو كمؤمنين . لذلك من المهم جداً أن نتوقف أحياناً لنسأل أنفسنا : أين نحن الآن - حقيقة - من الناحية الروحية ؟

دعني أقترح عليك عشرة أسئلة تساعدك على اكتشاف الحق بالنسبة لحالتك الروحية . وإني أسأل هذه الأسئلة - فقط - لمصلحتك . إذا بدا بعض هذه الأسئلة قاسياً في البداية ، تذكر أن الذي يخبرك عن الحق الخالص ، هو في الحقيقة أفضل صديق لك .

1- هل تفكر بأي شكل من الأشكال في حالتك الروحية ؟

للأسف الشديد، يُوجد كثيرون لا يفكرون على الإطلاق في أمر خلاصهم . إنهم لا يتوقفون لكي يفكروا بجدية في الموت والدينونة ، في الأبدية ، وفي السماء والجحيم .

إنهم كثيراً ما يهتمون بأعمالهم ورغباتهم وعائلاتهم وأموالهم والسياسة . ويعيشون وكأنهم لن يموتوا ولن يفتقوا أمام الله للدينونة . إن هؤلاء الناس ينحدرون بأنفسهم إلى مستوى البهائم ، لأنهم لا يفكرون في أعظم الأمور أهمية في الحياة . تري هل تفكر أنت في هذه الأمور ؟

2 - ماذا تعمل من أجل خلاصك ؟

يوجد كثيرون يفكرون أحياناً في الإيمان والخلاص ، ولكنهم لا يذهبون إلى أبعد من ذلك . ربما يهتمون بذلك عندما يقعون في متاعب ، أو عندما يرون شخصاً يموت ، أو عندما يقابلون مسيحياً حقيقياً ، أو عندما يقرأون كتاباً مسيحياً ، ولكنهم يتوقفون عند هذا الحد . إنهم لا ينعزلون عن الخطية ولا ينفصلون عن العالم الشرير . ولا يحملون صليبيهم لكي يتبعوا المسيح . تذكر - يا صديقي - أنه لا يكفي أن تفكر فقط في الله أو الخلاص ، ولكن ينبغي أن تعمل شيئاً من أجل خلاصك ، وإلا فلن تستطيع أن تخلص .

3 - هل تحاول إرضاء ضميرك بالتدين الخارجي ؟

يقع الكثيرون في هذا الخطأ ، إذ يجعلون من مسيحياتهم مجموعة من الممارسات الخارجية فقط . فينكبون تماماً على اجتماعات العبادة، ولا يتخلفون عن تناول من عشاء الرب . وقد يتمسكون كثيراً بالتعاليم الخاصة بكنيستهم ، ويجادلون أي شخص لا يتفق معهم في العقيدة . لكن - مع كل هذه الأمور - لا يوجد تكريس حقيقي للمسيح في قلوبهم . إن تدينهم لا يشبعهم ، لأنهم لا يعرفون شيئاً عن الفرح والسلام الداخليين . ربما يدركون في دواخلهم أن هناك خطأ ما ، لكنهم لا يعرفون ما هو . لذلك أناشدك أن تفحص نفسك . إذا كنت مهتماً بخلاصك ، فلا تكتف بالممارسات الخارجية فقط . يجب أن يكون لك أكثر من ذلك بكثير حتى تخلص .

4 - هل عُفرت خطاياك ؟

أنت تعرف في قرارة نفسك - أنك خاطئ ، وأنت في الموازين إلى فوق ، في الفكر والكلام والأعمال ، لذلك فأنت تعرف أنه في اليوم الأخير إذا لم تكن خطاياك قد عُفرت ، فسوف تدان إلى الأبد .

إن عظمة الإيمان المسيحي أنه يقدم لك ، الغفران الذي تحتاج إليه ، الغفران الكامل والمجاني والأبدي . هذا الغفران اشتراه لنا الرب يسوع المسيح ، بمجيئه إلى العالم ليخلصنا، وبحياته وموته وقيامته كبديل عنا وعلى الرغم من أن هذا الغفران مجاني تماماً ، فإنه لا يُعطى لنا تلقائياً . إنك لن تحصل عليه ببساطة بذهابك إلى الكنيسة ، ولا حتى بحصولك على عضويتها . إنك تحصل على الغفران عن طريق ممارسة الإيمان الشخصي فقط . وإذا لم تنل هذا الغفران بالإيمان ، يكون المسيح وكأنه لم يمت عنك . الإيمان - ببساطة - هو الاتضاع والثقة الكاملة في أن الرب يسوع يخلصك . وكل من يثق شخصياً في المسيح ، يصبح في الحال مقبولاً ، وتغفر خطاياها، لكن بدون هذه الثقة فليس هناك غفران على الإطلاق .

إذاً فمعرفة بعض الحقائق عن الرب يسوع ، ليست كافية لخلصك . إنك تعرف أنه هو مخلص البشر، حسناً، لكن عليك أن تعرف، هل هو مخلصك أنت؟ هل أنت متأكد من أن خطاياك قد عُفرت ؟

5 - هل اختبرت حقيقة الرجوع إلى الله ؟

" إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد، فلن تدخلوا ملكوت السموات " (مت 18 : 3) .
" إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليفة جديدة " . (2كو 5 : 17) .

إننا - بالطبيعة - ضعفاء جداً وخطاة ونميل إلى العالم . لهذا فلا يمكننا أن نخدم الله في هذه الحياة ، إلا بعد أن نتغير تغييراً كاملاً . وبدون هذا التغيير ، لن نستطيع أن نتمتع به في السماء . وكما أن البط عندما يخرج من البيض يذهب بالطبيعة إلى الماء ، هكذا نحن أيضاً عندما نُولد ، فإننا بالطبيعة ننجذب للخطية وإن أردنا أن نترك الخطية ونتعلم أن نحب الله ، فهذا معناه أن نتغيراً عظيماً لا بد أن يحدث في حياتنا . وإذا حدث هذا التغيير فلا بد أن تظهر ثماره . هل لديك إحساس بالخطية ؟ وهل تشعر بالكرهية الشديدة لها ؟ هل لديك إيمان بالرب يسوع المسيح ؟ ومحبة له ؟ هل تحب القداسة ؟ وتشتاق أن تكون أكثر قداسة ؟ وهل ترى نمواً في محبتك لشعب الله وفي كراهيتك لطرق العالم ؟ هذه هي العلامات التي غالباً ما تتبع عملية الرجوع إلى الله ، فأين تقف أنت ؟

6 - هل تعرف شيئاً عن القداسة المسيحية العملية ؟

يوضح لنا الكتاب المقدس أنه " بدون القداسة لن يرى أحد الرب". والقداسة هي النتيجة الثابتة للرجوع الحقيقي لله . والقداسة في العالم الحاضر ليست هي الكمال المطلق ، ولا التحرر المطلق من الخطية ، فهذه توجد فقط في السماء . والقداسة ليست شيئاً نحصل عليه دون كفاح مستمر وصراع . وبالرغم من أن القداسة في هذه الحياة غير كاملة ، لكنها مع ذلك قداسة حقيقية . إن القداسة الحقيقية تجعل الإنسان يؤدي دوره في بيئته وفي عمله على أكمل وجه ويكون مؤثراً من خلال الحياة اليومية التي يحيها حتى في وجود المشكلات . وهذا يجعل الإنسان متواضعاً وعطوفاً وغير أناني ومراعياً لمشاعر الآخرين ، محباً ومتسامحاً . إن القداسة لا تبعد المؤمن عن الواجبات العادية للحياة اليومية ، لكنها تمكنه من أن يحيا كمسيحي حيثما دعاه الله أن يكون .

7 - هل تعرف شيئاً عن التمتع بوسائل النعمة ؟

وأنا أقصد بوسائل النعمة خمسة أمور أساسية هي : قراءة الكتاب المقدس ، الصلاة الشخصية ، اجتماع العبادة مع المؤمنين الآخرين ، تناول عشاء الرب وحفظ يوم الرب مقدساً .

ولقد عيّن الله في رأفته هذه الأمور لكي تساعدنا على التقدم في إيماننا المسيحي . وحالتنا الروحية تعتمد كثيراً على طريقة استخدامنا لهذه الوسائل . لاحظ أنني أقول " طريقة استخدامنا لهذه الوسائل " ، لأنه لا توجد فائدة تلقائية من ممارستها . إن الفائدة العظمى تكمن في كيفية استخدامنا لهذه الوسائل . لذلك ينبغي أن أوجه لك هذه الأسئلة : هل تجد سروراً وأنت تقرأ كلمة الله ؟ هل تسكب قلبك أمام الله في الصلاة ؟ هل يوم الرب - بالنسبة لك - يوم بهيج تقضيه في التسبيح والصلاة وشركة المؤمنين ؟ حتى لو لم يكن لوسائل النعمة غرض آخر فإنها تظل نافعة من حيث كونها مؤشرات إلى حالتنا الروحية الحقيقية . اخبرني عن علاقة أي إنسان بهذه الوسائل ، وسوف أخبرك في الحال إن كان هذا الإنسان في طريقه إلى السماء أم في طريقه إلى الجحيم .

8 - هل تحاول أن تصنع خيراً في العالم ؟

كان الرب يسوع في حياته على الأرض " يجول يصنع خيراً" (أع 10 : 38). ومنذ ذلك الحين يسعى المؤمنون الحقيقيون إلى أن يتبعوا مثاله . عندما حكى الرب يسوع مثل " السامري الصالح " (لو 10 : 25 - 37) ، فإنه أنهاه بالقول "أذهب أنت أيضاً وافعل هكذا" توجد

دائماً مناسبات لصنع الخير ، لكن التساؤل هنا هو: هل نريد نحن حقاً أن نصنع الخير ؟ حتى هؤلاء الذين ليس لهم مال يقدمونه ، يمكنهم أن يصنعوا خيراً للمرضى وأصحاب المشاكل، حينما يكونون مستعدين أن يقضوا وقتاً معهم ، وحينما يُظهرون لهم الاهتمام والتعاطف . اقرأ مثل "السامري الصالح" . هل تعرف شيئاً عن هذا النوع من المحبة للآخرين ؟ هل تحاول أن تصنع خيراً للآخرين ، خارج دائرة أسرتك وأصدقائك وكنيستك ؟ هل تحيا كتلميذ لذاك الذي " كان يجول يصنع خيراً " وأوصانا أن نتبعه كمثال لنا " (يو 13 : 15) ؟

9 - هل تحيا في شركة مستمرة مع المسيح ؟

إن ما أقصده بالشركة هو استمرار الثبات في المسيح . هذه الشركة التي عرفنا الرب بضرورتها إذا كنا نريد أن نكون مثمرين كمؤمنين (يو 15 : 4-8) . ويجب أن يكون واضحاً في أذهاننا إن وجود شركة حقيقية لي مع المسيح تعني شيء أكثر بكثير من مجرد كوني مسيحي أو مؤمن . إن كل الذين تابوا ورجعوا للمسيح هم مؤمنون ، وينتمون للمسيح . لكن الكثيرين لا يخطون هذه المرحلة ، بسبب الجهل والكسل والخوف من الناس ومحبة العالم ، أو بسبب بعض الخطايا المحيطة التي لم يتم التعامل معها، لذلك فإن لهم إيمان ضعيف ورجاء ضئيل ، وسلام ضعيف وقداسة ضئيلة . إنهم يعيشون كل حياتهم ولكنهم لا يثمرون إلا " ثلاثين ضعف فقط " (مت 13 : 8) .

الشركة مع المسيح شيء مختلف . إنها اختبار أولئك الذين يجاهدون بثبات للنمو في النعمة والإيمان والمعرفة والتوافق مع مشيئة المسيح في كل شيء . إنها اختبار أولئك الذين " يسعون نحو الغرض " (في 3 : 14) . إن السر العظيم لحياة الشركة هو أن نحيا دائماً بالإيمان في المسيح ، وان ننهل منه باستمرار كل ما نحتاج إليه . لقد استطاع بولس الرسول أن يقول : " لي الحياة هي المسيح " (في 1 : 21) ، ويقول أيضاً : " أحيأ لا أنا بل المسيح يحيا فيّ " (غل 2 : 20) . هذا النوع من الشركة متناغم تماماً مع الاقتناع العميق بأننا خطاة وفاسدون . وهو لا يخلصنا من الاختبار المذكور في (رو 7) ، لكنه يمكننا من أن نصرف أنظارنا عن ذواتنا ، وأن نتطلع إلى الرب يسوع ونفرح فيه .

10 - هل أنت مستعدٌ لمجيء المسيح الثاني ؟

من أعظم الأمور التي أكدها الكتاب المقدس ، أن المسيح سيأتي ثانية لهذا العالم . وهو سوف يأتي لمعاقبة الخطاة ، ولإكمال خلاص شعبه في ملكوت برّه الأبدي . فهل أنت مستعدٌ لمجيئه ؟ أن تكون مستعداً ، لا يتطلب منك أكثر من أن تكون مؤمناً ثابتاً . إنه لا يستلزم منك التخلي عن العمل

اليومي ، لكن بالأحرى أن تؤدي عملك كمسيحي حقيقي ، وقلب مستعد دائماً أن يترك كل شيء عندما يظهر المسيح . دعني أسألك ثانية : هل أنت مستعد؟

الخلاصة

دعني أختتم بكلمات قليلة للتطبيق :

1 - هل أنت نائم ولا تفكر في الحياة الروحية ؟ استيقظ ، إنك تشبه شخصاً ينام في قارب يندفع نحو صخرة سوف تحطمه . استيقظ واطلب الرب .

2 - هل تشعر بالذنب وتخشى ألا يكون لك رجاء ؟ ألق عنك مخاوفك واستمع للمسيح الذي يقول : " تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم " (مت 11 : 28) . " كل من يأتي إلي لا أخرجته خارجاً " (يو 6 : 37) . هذه الكلمات هي لك ، كما أنها للآخرين . تعال بكل خطاياك وذنوبك ، تعال بعدم إيمانك وشكك ، تعال بعدم صلاحك وضعفك . تعال بكل هذه إلى المسيح الذي قيل عنه " هذا الرجل يقبل خطاة " (لو 15 : 2) ، تعال وسوف يقبلك ادعه الآن .

3 - هل تعترف بإيمانك بالمسيح ، ومع ذلك لا تتمتع بفرح غامر وسلام وتعزية ؟ افحص قلبك الآن ، وانظر إن كان الخطأ يرجع إليك . ربما تبذل القليل من الجهد ، أو لا تبذل جهداً على الإطلاق . ربما تكون مكتفياً بالقليل من الإيمان والتوبة والتقديس ، ربما تكره أن تكون غيوراً حقيقياً في الحياة المسيحية . إذا كان الأمر كذلك ، فلن تكون مؤمناً سعيداً ما لم تغيّر طريقك . تغيّر الآن . إبدأ بأن تكون مُخلصاً في مسيحتك . جاهد لكي تكون أقرب إلى المسيح، ولتثبت فيه وتتمسك به ، ولتجلس عند قدميه مثل مريم ولتسرب من ينبوع الحياة ، وعندئذ فقط سوف تشعر بالفرح والشبع .

4 - هل أنت مؤمن ولكنك تعاني من الاضطراب والشكوك والمخاوف ، بسبب وهناك وضعفك وشعورك بالذنب ؟ تذكر ما يقوله الكتاب المقدس عن يسوع : " قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ " (مت 12 : 20) . هذا النص هو لك ، فحتى الإيمان الضعيف أفضل من عدم الإيمان . إن حبة صغيرة من الحياة أفضل من اللاحياة . ربما تتوقع الكثير في هذا العالم ناسياً أنك لست بعد في السماء . يجب أن تتوقع القليل من نفسك والكثير من المسيح . انظر أكثر إلى يسوع ، وانظر أقل إلى نفسك .

5 - أخيراً هل تشعر بالقنوط أحياناً بسبب التجارب التي تقابلك في الحياة؟ انظر للمسيح ، إنه الآن عن يمين الله . اسكب قلبك أمامه . هو يستطيع أن يفعل أكثر من مجرد الشعور بالتعاطف معك .

هو يستطيع أن يساعدك . يجب أن تتعلم الاقتراب منه . تذكر أن الوقت مقصر وسينتهي قريباً
وسنكون مع الرب . " لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد ، لأنه
بعد قليل جداً سيأتي الآتي ولا يُبطيء " (عب 10: 36،37) .